مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قديما وحديثا والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وآله وصحبه الذين ساروا في نصرة دينه سيرا حثيثا وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمهم والعلماء ورثة الأنبياء أكرم بهم وارثا وموروثا أما بعد: فهذا مختصر يشمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام حررته تحريرا بالغا ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغاً، ويستعين به الطالب المبتدئ ولا يستغني عنه الراغب المنتهي، وقد بينت عقب كل حديث من أخرجه من الأئمة لإرادة نصح الأمة.

فالمراد بالسبعة أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

وبالستة من عدا أحمد، وبالخمسة من عدا البخاري ومسلم. وقد أقول الأربعة وأحمد، وبالأربعة من عدا الثلاثة الأول، وبالثلاثة من عداهم وعدا الأخير، وبالمتفق البخاري ومسلم، وقد لا أذكر معهما، وما عدا ذلك فهو مبين، وسميته بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ، والله أسأله أن لا يجعل ما علمناه علينا وبالاً، وأن يرزقنا العمل بما يرضيه سبحانه وتعالى.

متن بلوغ المرام متن شغف به الناس وكثرت شروحه، وأقبل عليه كثير من الطلاب، وبعد دراستي لهذا الكتاب وجدت أنه جدير بهذه العناية، وأن فيه من المزايا ما قد لا يوجد في غيره من المتون، ونحن – إن شاء الله – بعد نهاية شرح هذا المتن – إن يسر الله – سنفرد مقارنة بين أحاديث البلوغ والمحرر والإلمام والمنتقى – وإن كان المنتقى يختلف –، وتَجمع عندي أشياء كثيرة جداً حول هذا الموضوع، ولكني سأرجئ الكلام عنه إلي نهاية المتن؛ لأنه يتبين أكثر طريقة المؤلف.

لكن الشيء الذي أحب أن أشير إليه الآن أن **من طريقة الحافظ أنه يختصر الحديث فيأتي بالشاهد فقط**، وهذا الأمر عَدَّه بعض الناس: ميزة وحسنة من حسنات المتن، والواقع – من وجهة نظري –: أن هذا عيب من عيوب المتن والسبب:

أولاً: أن الحديث لا يفهم فهماً كاملاً تاماً إلا بسياقه المتصل.

السبب الثاني: أن الحافظ ابن حجر يسقط من الألفاظ ما فيها فوائد مهمة؛ ولهذا ستجد أنه إذا قرأت متن هذا الحديث في البلوغ ثم قرأت نفس المتن في الإلمام مثلاً أن استيعابك للحديث وتصورك له ولمعانيه أتم؛ لأن سياق الحديث هناك أتم.

هذه النقطة فقط هي التي – من وجهة نظري – مزعجة في البلوغ، ولو أن الحافظ استدركها لكان المتن في الحقيقة فيه مالا يوجد في غيره من المتون.

- **قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)** جرت عادة أهل العلم من المصنفين أن يبدؤوا مصنفاتهم بالبسملة **لأمرين**:

الأمر الأول: اقتداء بالكتاب فإن الله ابتدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم.

والأمر الثاني: اقتداء بالنبي ﷺ؛ لأنه كان يبدأ مراسلات الملوك ببسم الله الرحمن الرحيم، وهو ثابت في الصحيح.

والأمر الثالث: ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال:(كل أمر ذي بال لم يُبدَأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أو أبتر)، وهذا الحديث في إسناده أحمد بن محمد بن عمران شيعي يدور بين أن يكون ضعيف جداً أو متروكا كذابا، فهذا الحديث لا يصح ولا يسوغ الاستدلال به، لكن الاستدلال الصحيح بما تقدم عن الكتاب وعن عمل النبي ﷺ؛ ولهذا جرت – كما قلت – عادة المصنفين ابتداء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم.

- **قوله: (الحمد لله على نعمه). الحمد هو**: الثناء على المحمود بصفاته الجميلة وأفعاله الحسنة ، فهو اسم للصفات والأفعال ، والحمد لا يؤدى إلا باللسان. **وهناك فرق بين الحمد والمدح** وهو:

– من وجهة نظر ابن القيم – هو فقط في أن **الحمد**: لا بد أن يكون مع المحبة والتعظيم والإجلال يعني ثناء مع محبة وتعظيم وإجلال

بينما **المدح**: ثناء بلا محبة ولا تعظيم.

– **وقيل** إنه لا فرق بين المدح والحمد.

– **وقيل** أن العرب وضعوا المدح ليشمل الحمد والشكر.

– **وقيل** أن الفرق بينهما أن المدح يتعلق بالفعل الاختياري.

ومن وجهة نظري: أن هذه الأقوال متقاربة فالحمد والمدح فيه ثناء، وقد يكون ما ذكر ابن القيم من أقوى الفروق إلا أنه – رحمه الله – لا يحضرني الآن أنه ذكر مستندا لهذا التفريق ، أما الشكر فإنه يؤدى بالقول والعمل ، باللسان والأركان ، فالحمد لا يكون إلا باللسان، بينما الشكر يكون باللسان والعمل، والدليل على هذا قوله تعالى " اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا " والدليل عليه أيضاً أن النبي ﷺ لما كُلم في كثرة العبادة قال ﷺ:" أفلا أكون عبداً شكورا " فعبر عن الشكر بالعبادة.

- **قوله: (الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة).** (**النعم**): جمع نعمة.
- **وقوله: (الظاهرة والباطنة).** (المقصود بالظاهرة والباطنة) [1] فيه خلاف:

- **فقيل الظاهرة**: هي التي تدرك بالحواس.

وعلى هذا تكون الباطنة هي التي لا تدرك إلا بالعقل.

- **وقيل الظاهرة**: هي التي تعرف (يشاهدها الناس وتعرف).

وعلى هذا تكون الباطنة هي التي لا تعرف.

- **وقيل أن النعم الظاهرة هي**: أن يخلق الله الإنسان خلقاً حسناً.

وعلى هذا تكون الباطنة هي: ما يُستر من العيوب.

ولا يوجد ما يمنع من أن نحمل النعم الظاهرة والباطنة على جميع هذه المعاني؛ فإن النعم التي تدرك بالحواس، والتي لا تعرف، وتحسين خلق الإنسان كلها من النعم الظاهرة، وكذلك عكسها كله من النعم الباطنة.

- **قوله: (والصلاة والسلام).** الصلاة في اللغة:الدعاء.

وفي الشرع: اختلفوا فيها على أقوال نأخذ أهم الأقوال:

القول الأول: أن صلاة الله على عبده هي ثناء الله على عبده في الملأ الأعلى.

وهذا اشتهر به أبو العالية ذكره عنه البخاري، وأبو العالية تابعي كبير لقوله هذا وزن وثقل.

وقيل: أن الصلاة هي الرحمة. وهذا القول هو أضعف الأقوال.

- لأن الله تعالى قال: " أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ". ففرق بين الصلاة والرحمة.
- والدليل الثاني على ضعفها: أن الصلاة لفظ يشعر بمزيد تشريف لا يوجد في لفظ الرحمة، فإذا قال الإنسان اللهم صل على محمد فرق بينه وبين أن يقول : رحمه الله ، ففي اللفظ الأول في لغة العرب واستعمال الشرع ما فيه من التشريف.

القول الثالث والأخير: أن الصلاة تعني مزيد تشريف وتكريم للنبي ﷺ أو من يصلى عليه ، ومال إلى هذا القول واختاره: الحافظ ابن دقيق العيد.

لا يوجد في الحقيقة – حسب ما وقفت عليه – مُرجح واضح؛ ولهذا نقول:

---

[1] ما بين القوسين تم نقله هنا لمناسبته .

أقوى الأقوال: ما اختاره أبو العالية أو ما اختاره الحافظ ابن دقيق العيد،

فإما أن يكون هذا معناها أو ذاك، على أن كثيرا من الشراح اعترض على أبي العالية بقوله: أن ثناء الله على العبد في الملأ الأعلى أمر غيبي يحتاج إلى توقيف من النبي ﷺ ، وهذا الاعتراض وجيه، إلا أنه يضعفه أن أبا العالية من كبار التابعين، في الغالب أنه أخذه عن أصحاب النبي ﷺ، وهم عن النبي ﷺ ، لكن هذا التقرير قد لا يركن إليه الإنسان اطمئنانا بيناً تاماً، فيبقى هذا القول فيه قوة وعليه مؤاخذة، فإما أن يكون هذا القول هو الراجح أو الثالث هو القول الراجح.

- **قوله: (والسلام). السلام** أيضاً اختلفوا في معناه **على قولين:**

القول الأول: أن السلام اسم من أسماء الله، ومعنى أن نقول السلام على فلان – وهو اسم من أسماء الله – أي كأننا ندعو أن يحفظ الله هذا الشخص من الآفات والأضرار...إلخ.

والقول الثاني: أن معنى السلام مأخوذ من السلامة ، فكأننا ندعو له بالسلامة من العيوب والآفات والنقائص.

والراجح أن المعنيين ليس بينهما اختلاف، فنحن نسأل الله أن يحفظه، وأن يسلمه من الآفات والنقائص.

- **قوله: (على نبيه ورسوله محمد)** فرق المؤلف بين النبي والرسول:

النبي: إما أن يكون مشتق:

- من النبأ وهو الخبر.
- أو من النبوة وهو الارتفاع.
- أو منهما فيكون النبي مرتفع ويخبر عن الله.

واختلف العلماء – رحمهم الله – **في الفرق بين النبي والرسول على أقوال:**

القول الأول: أن النبي من أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

هذا القول ضعيف أو ضعيف جداً والسبب في ذلك: أيُّ فائدة من أن يوحى للنبي بشرع ثم لا يؤمر بتبليغه،؟!

لا فائدة من أن يوحى إليه بهذا الشرع؛ ولهذا هذا القول مع اشتهاره هو أضعف الأقوال.

القول الثاني: أن النبي والرسول كل منهما أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، إلا أن الرسول معه كتاب والنبي ليس معه كتاب.

والقول الثالث: أن النبي هو من يوحي إليه بشرع لتجديد شريعة سابقة ،وعلي هذا سيكون مبعوثا لقوم مسلمين، والرسول من أوحي إليه بشرع جديد، وعلى هذا سيكون مبعوثا لقوم كافرين.

قد يكون أرجح الأقوال القول الثالث،وإن كانت هذه المسألة بعض علماء العقيدة يطيل فيها وفائدتها في الحقيقة يسيرة جدا، بل لا ينبني عليها أي فرع،لاسيما وأن أهل العلم أجمعوا بلا خلاف على أن مرتبة الرسول أعلى من مرتبة النبي،فإذا اعتقد الإنسان أن مرتبة الرسول أعلى من مرتبة النبي بعد ذلك التفريق الدقيق بينهما لا يكون تحته فروع ينبني عليها فائدة كبيرة.

- **قوله: (وآله وصحبه).**

قوله: (وآله). الآل:

- إما أنه مشتق من (أهل). **ويدل على هذا:**

أنه إذا صُغر رجع إلى أصله فيقال: أهيل.

- أو يكون مشتق من أول وهو الرجوع، آل: أي رجع.

لأن الإنسان يرجع إلى أصله وهو آله.

وآل النبي اختلفوا فيهم على أقوال–وهذا تحته ثمرة–؛لأن الإنسان يجب أن يعتقد حب آل النبيﷺولا بد أن يحدد من يُحَب:

القول الأول: أن آل النبي ﷺ هم **أزواجه وذريته** فقط. **واستدل أصحاب هذا القول بـــ:**

- حديث الصلاة على النبي ﷺ وفيها (اللهم صل على محمد وآل محمد)، وفي الرواية الأخرى (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) فجعل مكان الآل الأزواج والذرية فدل على أنهما شيء واحد.

القول الثاني: أن آل النبي هم **من تحرم عليه الصدقة**، وهم بنو هاشم فقط.

والقول الثالث: أن آل النبي ﷺ هم **جميع أتباعه** – كل من تبع النبي ﷺ فهم من آله. **واستدلوا على هذا بـــ:**

- قوله تعالى (**أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**)- [غافر/٤٦]، ومن المعلوم أنه ليس المقصود بالآية ذرية فرعون وإنما أتباع فرعون.

– **والراجح**: أن الآل هم أزواجه وذريته.

ومن الفقهاء من جعل آل النبي ﷺ هم فقط ذريته.

ومنهم من خصص فقال هم فقط فاطمة والحسن والحسين.

لكن الصواب – إن شاء الله – :أن آل النبي هم أزواجه وذريته وبناته ﷺ.

قوله: (وصحبه). وصحبه: جمع صحابي. والصحابي اختلفوا في تعريفه مع أهمية التعريف، لأنه:

- ينبني عليه أن الصحابي لا يبحث في توثيقه.
- وينبني عليه حقوق الصحابة من المحبة والتوقير.

القول الأول: أن الصحابي هو من رأى النبي ﷺ وآمن به وتوفي على ذلك.

القول الثاني: أن الصحابي هو من رأى النبي وآمن به وصحبه فترة طويلة.

والقول الثالث:أن الصحابي هو من رأى النبي ﷺوآمن به وصحبه وقتاً طويلاً وروى عنه،وهو أضيق الأقوال.

استدل أصحاب القول الثاني والثالث– وهما قولان متقاربان بـــ:

- ما رُوي عن أنس ﷺ أن رجلاً قال له: هل بقي أحد من أصحاب النبي ﷺ: فقال أنس: بقي أعراب رأوه أما من صحبه فلا) ففرق بين من رآه وبين من صحبه.

واستدل أصحاب القول الأول – وهو أشهر الأقوال – بـــ:

- أن للنبي ﷺ خصوصية لا تتعداه؛ لعلو منزلته وشرفه ﷺ، وهي: أن الإنسان بمجرد ما يراه يصبح صاحباً من أصحابه بينما سائر الناس لا يكون الإنسان صاحباً لغيره إلا مع طول الصحبة.

والمسألة محل – الحقيقة – تردد، ومال كثير من المحققين إلى القول الأخير ، ولكن المشهور أن كل من رأى النبي ﷺ، وآمن به، وتوفي على هذا فهو من أصحابه الذين له ما للصحابة من حق، وهذا في الجانب العملي أحسن.

- **(الذين ساروا في نصرة دينه سيراً حثيثاً).....**
- **قوله: (وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمهم ـ والعلماء ورثة الأنبياء ـ أكرم بهم وارثاً وموروثاً).**

دعا المؤلف أيضاً للتابعين، **والتابعون هم**: من رأى الصحابة و أخذوا عنهم العلم.

ولهذا سماهم المؤلف ورثة؛ لأنهم ورثوا العلم، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم النافع.

هنا في مسألة التابعين الذين رووا العلم وورثوه للناس توجد كلمة للإمام الحافظ الكبير علي بن المديني نقلها عنه كل من بعده، وأثنوا عليه بسببها ثناء عطراً؛ لأن فيها ذهنا فيه من التقسيم والبيان ما فيه .

هناك مسند ليعقوب بن شيبة، مسند عظيم لكنه لم يوجد توجد منه قطع، مسند معلل مفيد جداً لطالب العلم طبع منه ملخص للشيخ أحمد الكاملي وهو من علماء القرن السابع أو الثامن ، في هذا الملخص نقل لنا هذا الكلام عن الإمام علي بن المديني،

كلام مهم جداً لطالب العلم يتصور فيه كيفية انتقال العلم من النبي ﷺ للصحابة للأئمة الأربعة يقول : "قال أبو يوسف يعقوب ابن شيبة – صاحب هذا المصنف وهو من تلاميذه – قال لي علي بن المديني – رحمه الله –: احفظ هذا الذي أقول لك: إني نظرت فإذا العلم كله أو أكثره جمعه ثلاثة أو ينتهي إلى ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ (فانحصر) ممن له أصحاب ليس كأصحاب غيره".

إذاً هو سيتكلم عن ثلاثة من الصحابة تميزوا بأمرين:

- أنهم جمعوا العلم.
- والأمر الثاني: أن لهم أصحابا.

ما عداهم جمع العلم وهو على ما هو عليه من فضل ومنزلة لكنه لم يورث عنه العلم كما وُرث عن غيره.

قال الإمام: "زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود".

هؤلاء الثلاثة هم الذين ورثوا العلم، وكان لهم أتباع، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص هؤلاء ليسوا بدون الذين ذكرهم الإمام علي، لكنهم لم يورثوا العلم – لاحظ ماذا يقول — "فأصحاب زيد (سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير ، والقاسم (ثم عدَّ عدداً من التابعين) يقول:" ثم كان مالك بن أنس من بعدهم يذهب مذهبهم" يعني هؤلاء التابعين الذين هم من أصحاب زيد "وكان عبد الرحمن بن مهدي بعد مالك يذهب إلى مذهبه ومذهب زيد ويعظم هذا الطريق".

ثم قال: "وكان أصحاب ابن عباس طاووس ومجاهد وعطاء...الخ".

ثم ذكر من روى عنهم من التابعين ثم إلى أن وصل إلى شيوخ الإمام أحمد يقول: "ثم كان أصحاب ابن مسعود: علقمة والأسود ومسروق والحارث بن قيس... الخ".

ثم ذكر من أخذ عنهم إلى مشائخ الأئمة الأربعة ، لا يوجد وقت لقراءة هذا الكلام، لكن في الحقيقة هو كلام يجعلك تتصور كيف انتقل العلم والفقه والفهم عن الله وعن رسوله من النبي ﷺ إلى الصحابة ثم التابعين – ذكرهم جميعاً –، ثم من تتلمذ عليهم إلى أن وصل إلى الأئمة الأربعة باعتبار أن الحافظ علي بن المديني من أصحاب الإمام أحمد الذي هو آخر الأئمة الأربعة.

- **قوله: (أما بعد: فهذا مختصر). الاختصار**: هو إيجاز الكلام.

ومن عرف الاختصار بإيجاز الكلام فمعنى هذا أنه يرى أن الاختصار والإيجاز شيء واحد.

ومن الفقهاء من رأى أن بين الاختصار والإيجاز فرقاً:

فالإيجاز: هو أن تعبر عن المعاني النفيسة الكثيرة بعبارات قصيرة من غير أن يختصر هذا من كلام سابق.

والاختصار: هو أن تعبر عن المعاني الكثيرة المبثوثة في كلام كثير بعبارات يسيرة مختصرة من ذلك الكلام.

وهذا تفريق دقيق جداً **وهو الصواب**، ففرق بين الإيجاز وبين الاختصار.

- **قوله: (يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية).**

مقصود المؤلف بهذا أن متن البلوغ إنما اشتمل فقط على أصول الأدلة الحديثية لا على جميع الأدلة الحديثية ،فهو لم يرد الاستيعاب ولا قريب من الاستيعاب، وإنما أن يجمع أصول هذه الأدلة.

- **قوله: (حررته تحريراً بالغاً). التحرير**: هو تهذيب الكلام وتنسيقه بحيث يخرج وافياً بالمقصود من غير إطالة.
- **قوله: (ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغاً). النابغ**: هو المتميز المبدع في فنه.

فالمؤلف يرى أن من حفظ هذا الكتاب فإنه سيكون نابغاً بين أقرانه باعتبار أنه حصّل أصول الأدلة التي يستدل بها الفقيه.

هذا والله أعلم وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.